الخطبة الحادية عشرة[1]

تكريم الإنسان في الإسلام

الحمد لله ربِّ العالمين، أرسل لنا رسولاً صادق الوعد وأمين، وجعله رحمة لنا وللخلق أجمعين، سبحانه سبحانه! أحبنا فأكرمنا بسيد الأولين والآخرين، فأخرجنا به من الظلمات إلى النور، ومن الغواية والعماية والضلالة إلى العلم والهدى والنور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الحق، الذي أنزل خير كتاب أُنزل للخلق على سيد الخلق، ليحق به الحق، ويبطل به الباطل ولو كره المجرمون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، ومصطفاه من خلقه وخليله، اختاره الله تعالى على فَترْة من الرسل فأقام به الملَّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، وجعله فاتحاً خاتماً.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الرحمة العظمى لجميع العالم، والأمين على وحي السماء، والذي نشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة بين أهل الأرض وأهل السماء. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من استجاب لدعوته ومشى على سنته، واستقام على شريعته، وكان يوم القيامة تحت لواء شفاعته، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا ربَّ العالمين.

أما بعد... فيا أيها الإخوة المؤمنون يا أحباب الله ﷻ ورسوله ﷺ، ونحن نحتفل اليوم بذكرى ميلاد سيد الأنبياء، نحتفل معه بميلاد الشريعة السمحاء التي أنزلها الله، فعالجت كل داء، ورفعت عن أهلها كل بلاء، عالجت كل داء في الأرض، ورفعت كل عناء وبلاء نازل من السماء، فكان أهلها في خير دائم لا ينقطع أبداً خير في نفوسهم وخير في بيوتهم، وخير في قُراهم وخير في مُدنهم، خير في دولهم ومجتمعاتهم، ما داموا بهذه الشريعة عاملين، وعلى نهج المصطفى ﷺ سائرين.

---

1 خطبة جمعة ذكرى المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين ١٣ ربيع الأول ١٤٢٠ هجرية، ٢٠٠٠/٦/١٦م.

فنحن في الحقيقة نحتفي بميلاد خير تعاليم نزلت من السماء، لإقامة العدالة في الأرض، ولإصلاح النفوس، وإصلاح المجتمعات، وإصلاح البلاد والعباد، خير شريعة نزلت من السماء تنشر في الأرض السلام والمحبة والوئام والاجتماع، وتقضي على مرض التفرقة، وتقضي على داء الحسد وعلى وباء الحقد، وعلى مرض الأثرة ومرض الشُّح ومرض الأنانية، وتلك هي الأمراض التي تزلزل سعادة البشرية، وتجعل الأمم في حروب مستمرة، ونزاعات لا تنقطع، وتجعل الإنسان الوديع المسالم الذي اختاره الله خليفة عن حضرته يتحول إلى وحْش كاسر وعَلَى مَنْ؟ على أخيه الإنسان الوديع، على شيخ كبير فقد القوة، أو على امرأة لا تستطيع الدفاع عن نفسها، أو على صبيّ صغير لم يَبْلغ الفِطام، يتحوّل الإنسان الذي لم يتربَّى على تعاليم الإسلام إلى ما ذكرناه، لأنه غاب عن شرع الله، فنفذ شريعة الغاب التي تفعلها الحيوانات، ولا ينبغي أن تكون بين بني الإنسان قط.

فالإنسان قد كرمه مولاه، وأعلن تكريمه في خير دين أنزله الله، وقال في هذا التكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (١٧٠الإسراء)، في هذا التكريم جعل هذا الدين القويم الإنسان مُكرَّماً على كل أشكاله، ومختلف ألوانه، فلم يُفرِّق بين أبيض ولا أسود، ولا أصفر ولا أحمر، بل جعل الناس سواءاً لا تفاضُل بينهم إلا بتقوى القلوب والعمل الصالح. كرَّم هذا الإنسان فحرَّم على أى إنسان أن يمتد إليه أذى سواء بلسانه أو بيده أو بآلة أو بأي شئ يملكه أو يستطيعه، فجعل من يسبّ إنساناً فاسقاً خارجاً عن شرع الله، وقال في ذلك الحبيب ﷺ: { سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوق } – وجعل قتاله كفراً.. فقال : { وَقِتَالُهُ كُفْرٌ }٢

وأي مؤمنين يصطرعان نهاهما معاً أن تمتد يدي أحدهما على الآخر، وقال لهما وفي شأنهما سيِّد المرسلين: { إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هٰذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ: إِنَّهُ

2 رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن مسعود.

كانَ حَرِيصاً عَلىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ }٣ .

وجعل المسلم الذي يميت مسلماً بأي وسيلة أو كيفية فمن يقتله بحقنة كمن يقتله بحبَّة، كمن يقتله بجَرْعة سمّ، كمن يقتله بخنجر، كمن يقتله بمسدس، جعل هؤلاء جميعاً في نار جهنم خالدين مخلدين فيها أبداً. وجعل هذا الذنب، وهذا الوزر في نظر رب العالمين، وعند أحكم الحاكمين، لا يماثله إثم ولا ذنب ...

اسمعوا إلى مبلغ شناعته، وإلى درجة فظاعته حيث يقول فيه الحبيب ﷺ: { لَزَوَالُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقّ }٤ فالله ﷻ يجعل دم المسلم أغلى عنده من السموات والأرض، لأنه ينطق بسرّ الله، ويُعلن توحيد الله، ويقول أفضل كلمة قالها قائل في هذه الحياة، هي مفتاح الجنة، وهي مفتاح الأمن يوم لقاء الله، وهي كلمة الإيمان والإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

بل حرَّم هذا الدين أن يُعذَّب المؤمن بأي كيفية، بل أن يُضرب المؤمن على أعضاءه التي كرمها ربَّ البرية، فنهى نبيكم الكريم أن يُضرب المؤمن على عينيه أو على أذنه أو على أنفه أو على رأسه أو على أي مكان في وجهه. وقال في ذلك :{ مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يَعْتِقَهُ }٥ أي لا يُكفِّر عن هذا الذنب إلا أن يعتق هذا العبد ويجعله حُرَّاً لوجه الله ﷻ، .... بل ونهى عن الضرب للإقرار بالذنب، ونهى عن التعذيب للإعتراف بالجناية، وقال في ذلك مبعوث العناية ورسول الهداية ﷺ: { لاَ ضَرْبَ فَوْقَ عَشْرِ ضَرَبَاتٍ إِلاَّ فِي حُدُودِ اللَّهِ }٦.

وقد يقول البعض: كيف تقول هذا والدين أمر الرجال بضرب النساء؟ فنقول له: يا هذا هل علمت الكيفية التي أمر الحبيب ﷺ أن تُضرْب بها النساء؟

لقد أمر بوعظهن أولاً، فإن لم يكن الإنسان يستطيع وعظها أحضر لها من

3 متفق عليه من حديث أبي بكر.
4 رواه البيهقي والأصبهاني وابن ماجة وأحمد عن ابن عمر.
5 أحمد في مسنده عن ابن عمر.
6 رواه مسلم في صحيحه عن أبي بردة الأنصاري بلفظ (لا يجلد أحدكم فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله).

يستطيع وعظها، ومن تتقبل كلامه كأبيها أو أخيها أو ناصحاً أو مُعلِّماً، أو مُفْهماً، فإن لم تتقبل النصيحة أمره أن يهجرها في مضجعها، فينام معها ويُدير لها ظهره – ولا يترك الغرفة لأن هذا يجعلها لا تحسّ بالذنب ولا وقع ندم، وإنما ينام معها ويدير لها ظهره – فإن لم تحس بوقع هذا الذنب يضربها ضرباً قال فيه الأئمة الأعلام رضي الله عنهم: يُحْضر منديله، ويربطه عقدة، ويضربها به، فكأن المقصود ليس الضرب، لأنه ماذا يصنع المنديل عندما تضرب به؟

ولكن المقصود أن تحسَّ بأنه غير راض عنها، وغير راض عن أفعالها، وعن سلوكها، واشترط الشرع الشريف أن يكون هذا الضرب غير مؤذٍ لها، ولا كاسر لعضو من أعضائها، وإلا خرج إلى حد التجريم وكان جريمة، وديننا يقيم لهذه الجريمة حكمها وليس لدينا وقت الآن لشرح تفصيلها.

أما ضرب الخدم فقد قال فيه رسول القدم ﷺ: **{ إِخْوانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله فِتْنَةً تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ وَلْيُلْبِسْهُ مِنْ لِبَاسِهِ وَلا يُكَلِّفْهُ ما يَغْلِبُهُ فإِنْ كَلَّفَهُ ما يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ }**[7]، و عندما كان يهدد بالضرب يمسك بالسواك، ويقول ملوحاً ومحذراً ؛ولـيس ضـارباً: **{ لَوْلاَ القِصَاصُ لَأَوْجَعْتُكِ بِهٰذَا السِّوَاكِ}**[8]، وما الذي يوجعه الضرب بالسواك؟ ولكن هي الرحمة المهداة، والنعمة المسداة التي كرمت عباد الله المؤمنين أجمعين ...

فنهى ديننا عن ضرب الحريم كما يحدث من بعض الجاهلين وقال ﷺ لمن يفعل ذلك**{ عَلاَمَ يَجْلِدُ أَحَدُكُم امرأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُها في آخِرِ اليَوم }**[9] أي هل هذا يليق بعمل الأحرار؟.

فنهى عن الضرب على الرأس، والضرب على الوجه، والضرب في الأماكن الحسَّاسة، ولم يُبح الضرب للطفل الذي يتعلم إلاَّ على اليدين، أو على القدمين، وجعله

7 حم ق د ت هـ) عن أبي ذر
8 خرّجه ابن سعد عن أم سلمة.
9 صحيح ابن حبان عن عبد الله بن زمعة.

آخر الدواء، وليس أوَّل الدواء، لأنك إذا استخدمت آخر الدواء ولم ينفع، فماذا تستخدم بعد ذلك؟ ولكنه استخدم التَّشجيع مع أبناء الصحابة، والحافز مع أبناء إخوانه، وكان يُشجِّعهم ويُثْني عليهم ويَحْضر سباقاتهم، ويُوزِّع الجوائز عليهم، ليُعْلمنا بشرعه الشريف، وخُلقه المنيف أن هذا دين تكريم الإنسان.

ولذلك فقد نهى عن صلْب أي إنسان، ولو كان مخالفاً لنا في الديانة، ونهى عن التمثيل بإنسان ولو قبضنا عليه في ميدان القتال، فقال للجنود: **{ لاَ تَخُونُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً، وَلاَ شَيْخاً كَبِيراً، وَلاَ اَمْرَأَةً، وَلاَ تَعْقِرُوا نَخْلاً، وَلاَ تَحْرِقُوهُ، وَلاَ تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلاَ تَذْبَحُوا شَاةً وَلاَ بَقَرةً وَلاَ بَعِيراً إِلاَّ لِمَأْكَلَةٍ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ }**[10] .

أي لا تقطعوا الآذان والأناف والأيدي والأرجل تشفِّياً وانتقاماً من المحاربين– كما يفعل في زماننا هذا مَنْ يتشدَّقون بأنهم حُماة حقوق الإنسان، وأنهم هم الذين يضمنون حقوق الإنسان ... أين هؤلاء من تعاليم ديننا الحنيف ؟؟؟؟

أين هم من ديننا الحنيف الذي كرَّم الإنسان أعظم تكريم، بل جعل حتى دين الله القويم ليس من حقَّ مؤمن أن يُكْره أحداً على اعتناقه لقول الله عزَّ شأنه ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ** ﴾(٢٥٦البقرة). فأظْهر له محاسن الدين بالحُجَّة والبرهان فإن اقتنع فبها ونعمت، وإن لم يقتنع قال: قل لهم ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ (٦الكافرون)، لا أظلمه، ولا أسبَّه، ولا أشتمه لأنه لم يؤمن بديني لأن ديني يحترم إنسانية الإنسان وبلغ من إنسانيته ﷺ إنه كان يقف إذا مرَّت به جنازة ليهودي، فيقولون: يا رسول الله: لِمَ تقف؟ إنه يهودي فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أليس إنساناً؟ فيقف تكريماً لبني الإنسان، لأن الله كرَّم كل بني الإنسان. وإن اختلفوا معه في الأديان، وذلك الذي جاء به في القرآن على لسان النبي العدنان صلوات الله وسلامه عليه.

---

10 رواه البيهقي في السنن الكبرى والسيوطي في الجامع الصغير عن أنس.

أما من يؤذي المسلم بيده أو بلسانه فقد أعلن النبي ﷺ للملأ أجمعين مدى جُرْمه، ومدى قُبْحه، لأنه يؤذي إخوانه بلسانه وبيده، ويكفي قوله ﷺ: { **المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** }١١ فكأن الذي يؤذي المسلمين بلسانه بسبّ أو شتم أو تعريض أو توبيخ أو هجاء، بيده أو بشكاية أو إذاية أو نكاية أو مقالة، هؤلاء جميعاً إسلامهم فيه نقص ويحتاجون إلى التوبة النصوح، وإلى السماح ممن تعرضوا لإيذائه، حتى يتوب الله عليهم، ويجعلهم من عباده المسلمين وقد قال ﷺ مُعرِّفاً المسلم في نظره وفي نظر دينه وفي نظر الله ﷻ:{**لَيْسَ المُسْلِمُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشَ وَلاَ البَذِيءَ**}١٢ فهذه الكلمات محذوفة من قاموس ألفاظ المسلمين، غير مكتوبة في لوحات وسجلات الموحِّدين ...

المؤمن أيها المؤمنون والمؤمنات ... لا يسب حتى ولو كان حيواناً، ولا يُعيّر إنساناً حتى ولو كان جباناً بجبنه، ولو كان به عيب يعيبه، لأن المؤمن لا ينتهك حُرْمةْ إخوانه المسلمين، فقد كان سائراً ﷺ ورجلاً من إخوانه يركب بعيراً، فلعن بعيره، فما كان منه ﷺ إلا أن أمره ألا يمشي معهم على بعير ملعون!، قال الرجل: فماذا أفعل يا رسول الله؟ فأشار ﷺ أن يتركه يذهب حيث يشاء وقال:{ **يَا عَبْدَ الله لاَ تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مَلْعُون** }١٣ فأمره تكفيراً لذنبه أن يتنازل عن ملكيته للبعير، ويتركه طليقاً في أرض الله ... لماذا؟

حتى يلقن أصحابه درساً ألا يسبوا أحداً ولا يلعنوا شيئاً، وقال ﷺ عن ربه لمن يسب الأيام، ويسب الدهر، ويسب الشهور والسنين، يقول الله تعالى: { **لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فأنَا الدَّهْرُ، الأيَّامُ وَاللَّيَالِي لِي أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيْهَا وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ** }١٤ فجعل المسلم نطقه حكماً، وكلامه حلماً، وخلقه جمالاً ومعاملته كمالاً.

---

11 البخاري والطبراني وأحمد عن عبد الله بن عمر ومسلم عن جابر.
12 رواه الترمذي والحاكم والدار قطني عن ابن مسعود.
13 رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن عمران بن حصين.
14 رواه مسلم عن أبي هريرة.

فالمؤمن لا يفكر بعقله في مؤامرة شنيعة، ولا في حيلة بارعة تؤذي الآخرين، وإنما يفكر في الخير، ويفعل الخير، ويحض على عمل البر.

هذا هو خلق الإسلام، وهذا هو دين الإسلام، الذي نحتفل بذكرى مبادئه في هذه الأيام فما أحرانا أن نقدم هذه المبادئ للأمم، ولا نقدمها بأقلامنا، ولا نقدمها بكتبنا، ولا نقدمها بإذاعاتنا، ولا نقدمها حتى على الانترنت، لأنهم يقيسون بسلوكنا، علينا أن نترجمها إلى سلوك عملي، سلوك محمدي، سلوك قرآني، نسعد به في أنفسنا، ونسعد به في مجتمعاتنا، ونقدم الخير به للعالم قال ﷺ: **{ أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، أولهَا خَيْرٌ وآخِرُهَا خَيْرٌ وبيْنَهُمَا كَدَرٌ }**[15].. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أكرمنا بالهدى والنور واليقين، وجعلنا من عباده المسلمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بالخير في كل وقت وحين، وحضنا على البر في أنفسنا ومع أهلنا والآخرين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أول من أظهر الأخلاق الكريمة للعالمين، وأول من أظهر البشر والسرور للخلق أجمعين، وكان ﷺ رحمة مهداة للإنس والجن، والكائنات كلها بسر رحمة الله التي أنزلها الله عليه في كتابه المبين اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد... فيا عباد الله جماعة المؤمنين، نحن في حاجة إلى الأمم الحديثة نستورد منها مستجدات العصر من تكنولوجيا الاتصالات، وما استحدث في عالم السفر والمواصلات، وما ظهر في عالم الطب والمعلومات، ولكن اعلموا علم اليقين أن عندنا أغلى تكنولوجيا في الوجود يحتاج إليها العالم أجمع، ولا صلاح للعالم إلا بها.

---

15 رواه ابن عساكر عن عمر بن عثمان.

لا صلاح له بتكنولوجيا صناعية، ولا بتنبؤات مستقبلية، ولا بغزوات فضائية، ولكن صلاح العالم بالأخلاق القرآنية، والقيم الإسلامية، والمبادئ النبوية، وهي التكنولوجيا الراقية التي لم يجدوها إلا عندكم جماعة المؤمنين، فتكنولوجيا الغرب والشرق تعلمهم الأثرة، وتعلمهم الأنانية، وتعلمهم التنافس والصراع، وتعلمهم العمل على إنشاء الصراعات والحروب ليروجوا أسلحتهم، ويبيعوا بضاعتهم ....

أما الأخلاق القرآنية، أخلاقكم الإسلامية من الحب والود والإيثار والإحسان، والرحمة واللين، والعفو والصفح والتسامح وما لا نهاية له من الأخلاق الكريمة هذه تكنولوجيا العالم كله يحتاج إليها، ولم يجدها إلا في كتركم القرآن الكريم، ولم يجدها إلا في معرضكم إذا تجملتم بها فأنتم معارض القيم الإلهية، وأنتم فترينات الأخلاق النبوية، وأنتم أسواق التعاملات السهلة السمحة الودية، والبشرية كلها تحتاج إلى من يترع الأحقاد، ويترع الشرور، ويزيل فتيل البارود الذي في الصدور، ولن يكون ذلك إلا في نور الله، وفي نور كتاب الله، وفي نور رسول الله ﷺ .... << ثم الدعاء >>.